محكم

المضمون الاجتماعي في الكرامة الصوفية

كرامات شيخ الزاوية العيساوية نموذجًا

عبد العزيز عموري

باحث مغربي

مؤمنون بلا حدود

Mominoun Without Borders

مؤسسة دراسات وأبحاث

قسم الدراسات الدينية

جميع الحقوق محفوظة

مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث

All rights reserved

Mominoun Without Borders

ظاهرة الأولياء أكثر المظاهر إثارة بما لهم من قيمة تمكنهم من منح البركة لأتباعهم، وبناء على هذا التصور، لعب الصلحاء في الماضي أدوارًا دينية، واجتماعية، وسياسية، واقتصادية، في مجتمعات الشمال الإفريقي.

ديل إيكلمان

الملخّص:

يسائل هذا البحث المضمون الاجتماعي لكرامات شيخ الزاوية العيساوية، بوصفه أحد الشيوخ الذين علا كعبهم في الولاية والتصوف في مغرب القرن السادس عشر الميلادي، بما أرساه من دعائم روحية واجتماعية وفكرية أهلته لتأسيس زاوية ظلت على مر قرون تصارع عوادي الزمن سواء تعلق ذلك بمناكفات باقي مكونات المشهد الصوفي، أو بمقومات السياسة الدينية التي انتهجتها مختلف الأسر الحاكمة تجاه شيوخ الولاية والتصوف.

والبحث يسلط الضوء على ماهية "الكرامة" من حيث توظيفها لتبيان ولاية شيخ الزاوية وصلاحه وتزكيته في الوسط المكناسي خاصة والمغربي عامة. كما أنّه يقدم لمحة عن مختلف التدخلات الاجتماعية للوسط الذي انغرست فيه، وهي التدخلات التي أكسبت عيساوة رأس مال رمزيًّا، استثمرته أيّما استثمار، وخاصة ما يتعلق بإكساب الزاوية العيساوية بعض مقومات السلطة الرمزية في المجال.

فإلى أي حد توفق مؤسس الزاوية العيساوية في إكساب كراماته طابعًا اجتماعيًّا صرفًا؟، وإلى أي حد كفل لزاويته إمكانية إفراغ الكرامة الصوفية العيساوية من طابعها التجريدي، وإضفاء المنحى الواقعي عليها المرتكز على تقديم البدائل لتجاوز أزمات العصر، ولو في مستوياتها الدنيا؟ وما نتائج ذلك على الوسط الاجتماعي الذي احتضن الزاوية؟

أولاً: مسوغات إنتاج الكرامة الصوفية في مغرب القرن العاشر الهجري

يعتبر القرن 10هـ /16م (فترة ظهور شيخ الزاوية العيساوية)، والذي يليه، من أخطر الفترات في تاريخ المغرب، فقد شهدت البلاد أزمة حادة شملت مختلف الميادين، كان الإنسان من أولى ضحاياها، نظرًا لضيق إمكانياته المادية ولتأثيراتها السلبية في القدرات الإنتاجية للسكان، ويكفي تفحص المصادر التي أرخت للفترة، لنقف على مختلف إفرازات الأزمة المشار إليها.

وتعتبر المجاعات والأوبئة من أكثر الكوارث الطبيعية في هذه الفترة، وأشدها وقعًا على الأحوال الاقتصادية والاجتماعية، وبما خلفته من أزمات غذائية بالأساس، أصابت الفئات الدنيا في المجتمع، مثلما ساهمت في تكريس الخوف من المجهول، وتراجع الأراضي المخصصة للزراعة وانكماش الحياة الاقتصادية وتقلص الإمكانات الإنتاجية لعموم المغاربة.

ولا تكمن خطورة هذه الظواهر في انعكاساتها وحسب، بل في طول مدتها، لأنّه قل ما خلا عقد من الزمن من سنة أو من سنوات من مجاعة[1]، كما أنّه وبحسب الدراسات بلغت سنوات الجفاف خلال القرن 10هـ /16م إحدى عشر سنة[2]، ولنا أن نتصور خطورة هذا الأمر وفداحته على الإنسان والاقتصاد على السواء.

وبالإضافة إلى الآثار الاقتصادية الوخيمة للمجاعات، نجد الأمراض والأوبئة الفتاكة، كالطاعون الذي يبقى أخطر الأوبئة فتكًا بالناس وبالأنعام والبهائم[3] على حد سواء، فالوباء الذي ضرب المغرب سنة 965 هـ /1559م كان "**وباء عظيم كسا سهله وجباله وأفنى أبطاله، واتصل أمره إلى سنة ستة وستين وبعدها**"[4]، وتتجلى خطورته أنّه اختطف كل الذين استطاعوا الإفلات من قساوة المجاعة بسبب ادخارهم للقمح.

وفي سنة 987هـ/ 1580م، وقع غلاء عظيم بالمغرب، حيث عُرف بـ"**عام البقول**" أو "**عام كحيكحة**" من كثرة ما أصاب الناس من مرض السعال[5]، وبحسب مصادر الفترة لم تكن "**الكحيكحة**" المرض الوحيد

---

[1] **محمد استيتو**، الكوارث الطبيعية في تاريخ مغرب القرن 16م (الكوارث)، د. د. ع. / ك. أ. ع. إ، ظهر المهراز، فاس، 1988، ص 93

- **B. Rosenberger et H.Triki**: famines et èpidemies au maroc aux 16 ème et 17 siècle hespi- tom, 1 partie, vol 14, fasc, 1,1973, p 120

[2] **محمد استيتو**، م س، ص 93

- **B. Rosenberger et H.Triki**, op cit, p 120

[3] **B. Rosenberger et H.Triki**, op cit, p 158

[4] **الناصري أحمد بن خالد**، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق وتعليق جعفر ومحمد الناصري، ط 2، مطبعة دار الكتاب، الدار البيضاء، ج5، 1954، ص ص 186 –187

[5] نفسه، ج5، ص 191

المؤرق لحياة الانسان، فقد كانت هناك أمراض أخرى كالجذام وغيره، والتي وإن لم تكن تقتل بالسرعة نفسها التي كانت لوباء الطاعون، فإنّ نتائجها الاجتماعية والاقتصادية المترتبة عنها كانت وخيمة.

ويتضح من عدد من الدراسات والأبحاث[6]، أنّ اخطر الأوبئة ما استغرق منها زمنًا طويلاً وانتشر في مناطق شاسعة من البلاد، وخاصة في المناطق ذات الكثافة السكانية، كما يتضح أنّ السنوات التي تفشت فيها الأوبئة الخطيرة تزيد مدتها عن سنتين على الأقل حيث بلغ عددها ثلاثة في القرن 10هـ /16م، وأربعة في القرن الذي يليه، وهذا يدل على أنّ كل أجيال العصر تعرضت لوباء مرة واحدة على الأقل.

وعمومًا، فهذه الأزمات المركبة كانت آثارها كارثية جدًّا على مختلف الأصعدة، وعلى الصعيد الاقتصادي والاجتماعي والديموغرافي خاصة، وكان من نتائج الأزمة أيضا ابتلاء المغرب بالاحتلال الإيبيري، لعدد من مدنه على امتداد حوالي قرن من الزمن حيث بدا باحتلال سبتة سنة 818هـ /1415م، ولا نحتاج للتذكير بما خلفه هذا الاحتلال من تشريد للسكان وإفقارهم، بسبب العجز الواضح للسلطة المركزية (بنو وطاس)[7]، كما أحدث رجات عنيفة في المجتمع، كان من مظاهرها الواضحة زعزعة الأفكار والخوف من المجهول الذي أصبح يلازم الإنسان في حله وترحاله.

وقد دفعت هذه الأزمات والتفسيرات الغيبية التي أعطيت لها إلى التعلق بكل من توسم فيه الناس الصلاح، ويبدو أنّهم وجدوا فيهم الملاذ الآمن، والحل لكل المشاكل المستعصية، حيث جعلوهم وسطاء موثوقًا بهم، وحكامًا لا ترد أحكامهم، وكان معروفًا كذلك أنّ الناس كانوا يبحثون عن الحماية المادية والمعنوية، من سطوة الطبيعة وتسلط الإنسان، حتى ولو كانت الحلول المقدمة، مجرد حلول تطمينية نفسية.

والواقع أنّ هذا العصر وفر المرتع الخصب لتكاثر الأولياء، لدرجة اختلط فيها الحابل بالنابل، فلم يعد يمكن التمييز بين من صلُح تصوفه ومن ادعى ذلك زورًا، مستغلين شدة اعتقاد الناس في صلاحهم وفي قدراتهم

- **محمد استيتو**، م س، ص ص147 – 149

[6] **محمد استيتو**، م.ن

- **محمد الأمين البزاز**، تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، م ك. أ. ع. إ بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء 1992

- **الناصري أحمد بن خالد**، م. س، ج5، ص ص 186 -187

[7] **القادري محمد بن الطيب**، نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، تحقيق محمد حجي وأحمد التوفيق، الرباط، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، 1977، ج1، ص 157

- **الوزان حسن**، وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، 1983، ج1، ص ص 233 -243

- **كربخال مارمول**، إفريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد زنيبر ومحمد الأخضروأحمد التوفيق، الرباط 1984، ج2، ص ص 188 -189

الخارقة، وقد تفشت هذه الظاهرة بكثرة حيث أصبحت في مطلع القرن 10هـ /16م من بين الأمور العظام التي عرفتها البلاد بحسب أحد المصادر.[8]

وعلى الرغم من وجود هذا الانحراف الذي أصاب التصوف حينذاك، فقد وُجد من الزوايا والأولياء من أظهر قدرة حقيقية في التخفيف من معاناة الناس، وقلل من حجم انتشار ظاهرة استغلال الناس من قبل أدعياء الكرامة والخوارق. في هذا الإطار ستبرز الزاوية العيساوية التي اعتُبر شيخها محمد بن عيسى أحد الشيوخ البارزين في صدر القرن 10هـ /16م، نظرًا لنسبه الشريف أولاً، ولصدق دعوته ثانيًا، وللأدوار الاجتماعية الكبيرة التي قام بها ثالثًا.

ومجمل القول، فإنّ القرن 10هـ/16م بأزماته السياسية والأوبئة والمجاعات التي ميزته وسيادة الأفكار والمعتقدات الغيبية، واتساع نطاق الخوف من الموت، كل ذلك وفر للزوايا عامة ولزاوية الشيخ الكامل خاصة الظروف الملائمة لتعزيز الحضور في المجتمع في التقليل من وقع تلك الأزمات المركبة والحد من خطورتها على كافة أوساط المجتمع، **فكيف تبلور هذا الحضور؟** و**ماهي مظاهره بالنسبة إلى العيساويين؟** ذلك ما نحاول الوقوف عليه في هذه الدراسة.

ثانيا: الكرامة الصوفية بين القبول والرفض

تشكل الكرامة الصوفية إحدى الظواهر التاريخية التي ارتبطت ارتباطًا وثيقًا بظاهرة الولاية والصلاح، فهي شرط أساسي للترقي في مراتب الولاية. وقد ظلت الكرامة قطاعًا منسيًّا، ومهملاً من لدن الباحثين في حقل التاريخ، باعتبارها مجرد غطاء فكري وسلوكي وثيق الارتباط بقوى غيبية، بينما هي في الواقع نتاج اجتماعي، وإفراز لشروط تاريخية، وانعكاس لإكراهات اجتماعية، وتجل لواقع يزخر بالتناقضات[9].

فما المقصود بالكرامة الصوفية؟

تعرف الكرامة بأنّها أمر خارق للعادة، يظهر على يد رجل ظاهر الصلاح ليس بشيء في الحال، ولا في المال. ويعرف أحد الباحثين[10] الكرامة الصوفية بأنّها بنية أساسية في الفكر البشري، وهي كالبنية العقلانية مرتبطة بنمط مجتمعي، وبأسلوب معيش في الوجود، وهي ممارسة لمعتقد ديني، وتأكيد لهذا المعتقد، والفكر

---

[8] **الناصري أحمد بن خالد**، ج4، ص ص 163-164

[9] **ابراهيم القادري بوتشيش**، الإسلام السري في المغرب العربي، منشورات سينا للنشر، ط 1، 1995 ص 131

[10] **ابراهيم القادري بوتشيش**، م. ن، نفسه، ص 132

الكرامي نمط فكري واجتماعي، وشمولي النظرة، كما أنّه يأخذ، ويعلل كل شيء باللجوء إلى الخيال، وأوليات الدفاع عن الذات، والإشباعات النفسية، كما أنّه يرضي الوعي تجاه كل التحديات والحواجز ترضية سهلة. وقد اعتبرها باحث آخر[11] تشكيلاً للواقع، وأسلوبًا رمزيًّا للتعبير عنه.

وقسم ابن عطاء الله الكرامة الصوفية إلى قسمين: كرامة حسية، وأخرى معنوية. ويدخل في إطار النوع

الأول كل ما هو محسوس، وملموس على أرض الواقع بما في ذلك: تسهيل قطع مسافة معينة في مدة قصيرة، أو تخليص من عدو، أو سماع خطاب من هاتف، أو تكثير لطعام أو شراب، أو إتيان بثمرة في غير إبانها، أو حصول ماء في زمن عطش، أو صبر عن الغذاء لمدة تخرج عن العادة...، أمّا الكرامة المعنوية فمعرفة الله، ودوام الخشية له، ودوام المراقبة له..[12]

فالكرامة، بما هي تجاوز لسنة من سنن الطبيعة، عدت من أكثر القضايا التي نالت حيزًا كبيرًا من الجدل في تاريخ الفكر الإسلامي والمذاهب الكلامية، بين مؤيد لها ومعارض لوجودها ومشكك في واقعيتها، مما أعطى القضية ذلك الحجم الذي ظهر في مختلف النقاشات التي دارت رحاها في أوساط العلماء كلما أثيرت مسألة الكرامات، وقضية جواز أن ينسب إلى غير الأنبياء ما لا ينسب إلاّ إلى الأنبياء وحدهم[13]. ويبدو أنّ المتصوفة قد جوبهوا منذ القدم بهذا الإنكار، حيث عملوا على تأسيس مبحث للدفاع عن الكرامة الصوفية وجوازها شرعًا ونقلاً، إذ يذهبون إلى القول بأنّ ظهور الكرامات جائز، بل واقع، فهي عون للولي على طاعته، وحاصلة له على حسن استقامته، ودالة على صدق دعواه للولاية، وشهدت له بها الشريعة[14]. ولن يقتصر الخوض في قضية الكرامات على فترة تاريخية بعينها، بل تعددت المراحل التي كانت فيها هذه المسألة موضوع حوار وجدال، فهذا ابن رشد الجد أفتى بضرورة تصديق الكرامات بناء على التواتر في نقلها، وإجماع أهل السنة على صحتها[15].

---

11 عبداللطيف الشادلي، **التصوف والمجتمع، نماذج من القرن العشر الهجري**، مطابع سلا، منشورات جامعة الحسن الثاني، 1989، ص 95

12 **نور الهدى الكتاني**، الأدب الصوفي في المغرب والأندلس في عهد الموحدين، ص 13

13 لطالما أثيرت طبيعة العلاقة بين الولي بالنبي، وشكلت محور تجاذبات فكرية كثيرة، ومنها ما ورد لدى الكلاباذي الذي اهتم بالسؤال الخاص بتلك العلاقة، كما نجد المؤرخ ابن خلدون أدلى بدلوه في هذا الموضوع الحيوي، حيث أفرز اهتمامًا خاصًا بسؤال خرق سنن الطبيعة، من دون أن يتجاهل السؤال الآخر.

- **أبو بكر الكلاباذي**، التعرف لمذهب أهل التصوف، دار الايمان، دمشق، 1986، ص ص 71 و79

- **عبدالرحمان ابن خلدون**، مقدمة ابن خلدون، دار الشعب، القاهرة، د. ت، ص ص 85 و109

14 **لوي ماسينيون وعبد الرزاق مصطفى**، التصوف، ترجمة إبراهيم خورشيد وعبد الحميد يونس وحسين عثمان، كتب دائرة المعرف الإسلامية، دار الكتاب اللبناني ومكتبة المدرسة، ط 1، 1984، ص ص 86-87

15 للمزيد من التفاصيل، ينظر كتاب: **ابراهيم القادري بوتشيش**، واقع الأزمة والخطاب الاصطلاحي في كتب المناقب والكرامات، ضمن كتاب الاسطوغرافيا والأزمة: دراسات في الكتابة التاريخية والثقافية، ص ص 28-29

وبصرف النظر عن رجحان كفة هذا الفريق أو ذاك، فإنّ ما يهمنا هنا هو كيف يمكن أن نستغل النصوص الكرامية في البحث التاريخي خاصة في شقه الاجتماعي، فخطاب الكرامة يعد خليطًا من الواقع والمتخيل، مزيجًا من التاريخ والأسطورة، إلاّ أنّه - وكما يرى أحد الباحثين -[16] لا تجب المجازفة بمحاولة عقلنة هذا الخليط، واعتبار الجانب التاريخي منه مادة توثيقية يعتمد عليها، وإنّ الجانب الأسطوري لا يفيد، باعتبار أنّ ترسبات الإبداع الخيالي تتراكم فوق الحدث الواقع فتغلفه باستمرار، مما يجعل منه مادة متماسكة لا يمكن تفكيكها، وعلى أي حال فالكرامة وسيلة للوصول إلى معرفة مشاكل الإنسان، وكيفيات تغلبه عليها، فالكرامات تطرقت إلى أهم المواضيع التي كانت تشغل بال العامة والمجتمع بشكل عام، فمهما اختلفت مواضيعها ومحاورها، فإنّ هدفها الأساس يظل هو التباهي بمكانة الأولياء، والإلحاح على حاجة المجتمع إليهم في كل الأحوال، وعليه يمكن اعتبار الكرامة وثيقة تاريخية من شأنها الكشف عن عدد من الجوانب المغفلة من تاريخ المجتمع على كافة المستويات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والنفسية والفكرية، وهو ما سندقق فيه لاحقًا أثناء الحديث عن كرامات شيخ زاوية عريقة رسخت وجودها في المجتمع لردح طويل من الزمن، ألا وهي الزاوية العيساوية أو زاوية الشيخ الكامل كما يلقبها أصحابها.

ثالثا: الكرامات الصوفية لشيخ الزاوية العيساوية ومضمونها الاجتماعي

كانت الكرامات الصوفية لشيخ الزاوية العيساوية أداة من بين أخرى، تم توظيفها لتبيان ولايته وصلاحه وتزكيتهما في الوسط المكناسي، بسبب حاجة الناس البسطاء إلى تجاوز أزماتهم الذاتية أو تلك المتصلة بأوضاعهم الاجتماعية، ومن هذا المنطلق كانت الكرامة الصوفية في مغرب القرن العاشر الهجري والقرون التي تلته، أكثر تعبيرًا عن الأزمة السائدة، وتطلعًا "افتراضيًّا" لتجاوزها - كما قال أحد الباحثين في الموضوع -.

ومن المعلوم أنّ مصداقية أيّة زاوية، كانت تقاس بحجم الخدمات التي تقدمها لوسطها، وقد تتسع شهرتها ويتكاثر عدد أتباعها إذا ما ضاعفت من مجهوداتها في هذا الباب، خاصة إذا كانت الفترة التي تُقدم فيها مثل هذه الخدمات مساعدة على ذلك. فالقرن 10هـ/16 م الذي برزت فيه الزاوية العيساوية كان قرنًا غير مستقر سياسيًّا، حيث الصراع على السلطة كان على أشده، والأوضاع الاجتماعية والذهنية كانت بالغة التعقيد، نتيجة الأزمات العديدة للعصر، علاوة على ما خلفته من آثار اقتصادية وديموغرافية واسعة النطاق. ويبدو أنّ هذه المظاهر كانت دافعًا لأن يُعزز عيساوة وشيوخهم من وجودهم المادي في المحيط، وأن يرسخوا مركزهم إلى

[16] **عبد اللطيف الشاذلي**، م. س، م س، ص ص 112-113

جانب باقي مكونات النسيج الصوفي، باعتماد آليات قد تبدو منذ الوهلة الأولى بسيطة، من إطعام وإيواء واستشفاء وتحكيم...، لكنّها كانت ذات دلالات كبرى بالنسبة إلى ساكنة هي أحوج إلى الحماية والأمن والطمأنينة، وبالنسبة إلى شيخ كان أحوج لاكتساب مزيد من الرهبة والتعظيم.

رابعًا: الأدوار الاجتماعية لشيخ الزاوية العيساوية

1- الإطعام أحد تجليات التضامن الاجتماعي في مغرب القرن العاشر الهجري

شكلت أزمنة القحط والجوع في تاريخ المغرب، لحظات مهمة لمختلف الفئات المتنفذة والفاعلة في المجتمع من أفراد ومؤسسات صوفية لترسيخ قيم التكافل والتضامن الاجتماعي مع الفئات المنكوبة والمتضورة جوعًا. حيث تنافسوا في الإنفاق وتقديم الطعام للجوعى، منطلقين من مبدأ رئيسي قوامه، أنّ حفظ النفس له مكانة محورية في الدين الاسلامي، ولا غرو فمنزلة **"القوت من الدين كالرأس من الجسد"**[17].

وقد لازم تقديم الطعام في الزوايا، أولى المؤسسات الصوفية في المغرب، لكنّها أصبحت في القرن 10 هـ/16م، جزءًا مهمًّا من مرتكزات هذه المؤسسات، لدرجة أصبحت الأطعمة المقدمة في رحابها وسيلة للشفاعة ورمزًا للبركة وكرامة صاحبها[18]، تمنحه سلطة رمزية بسبب كثرة المستفيدين منه وقلة المتوفر من الطعام في رحاب الزاوية أو الضريح، وإذا علمنا حجم الكفاف على المستوى الاقتصادي وطبيعة الركود الذي خيم على المقدرات الإنتاجية للمغاربة، ندرك أهمية هذه المهمة التي شاعت حينها خاصة بالزوايا باعتبار ما تقدمه لزوارها ولعابري السبيل، وللمقيمين بين أحضانها، بما يدل فعلاً على أهميتها دون سواها، ومهما كان فهذا الجانب النفعي شكل عنصر جاذبية وإشعاع للزوايا استفادت منه بشكل كبير في تثبيت أقدامها[19]، ووظفته أيما

---

17 أوردها **عبد الهادي البياض** في دراسته: " تجليات المقاربة الوسطية في منهج التكافل الاجتماعي بمتصوفة مغرب العصر الوسيط"، ضمن أعمال التصوف السني في تاريخ المغرب، منشورات الزمن، ط 2، 2013

- **ابن قنفذ ابو العباس احمد الخطيب القسنطيني**، انس الفقير وعز الحقير، تحقيق محمد الفاسي وادولف فور منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، البراط، 1965، ص 109

18 **عبد اللطيف الشاذلي**، ص 125

19 الشيء المؤكد أن وضعية الكفاف التي عاشها المغرب في تلك الفترة من تاريخ المغرب، حولت الزوايا ومن ضمنها الزاوية العيساوية بمكناسة الزيتون إلى مركز اجتماعي انبرى إلى تقديم الرعاية والمساعدة للمحتاجين وعابري السبيل، وكان من الطبيعي أن يفرض هذا الوضع على زاويتنا وغيرها من زوايا العصر أن تكون لها أملاك خاصة بها، تستثمر منتوجاتها في تلبية مختلف احتياجات مريديها وزوارها، كما أنّه وبالإضافة إلى الأملاك الخاصة، كانت الزاوية تتحصل من جراء خدماتها على الصدقات والهبات والزيارات. وفي تقديري أنّ هذه الفترة شكلت بداية ظهور الزوايا ذات الموارد المالية الكبيرة والأملاك المتنوعة من أراضي ومقرات...

- **ع. اللطيف الشاذلي**، م. ن، ص 192

- راجع ما كتبه **أحمد التوفيق**، مساهمة في دراسة المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر (إينولتان 1850-1912)، الدار البيضاء، منشورات كلية الآداب الرباط، 1978، جزآن، ج 2، ص 93

توظيف في استمالة الناس واستقطابهم للزاوية العيساوية، حيث شكلوا قاعدة آمنت بآرائها البديلة في معالجة مضاعفات الكوارث الطبيعية من خلال التكامل والتضامن الذي نشرته في صفوفهم.

وإذا انتقلنا إلى المستوى العياني، نجد أنّ مختلف الكرامات الصادرة عن الشيخ الكامل في هذا المضمار، تندرج كلها في سياق مواجهة الجوع، وتوضح كيف كان الخوف من المجاعة ونقص الغذاء يعشّش في ذهن الإنسان، فضلاً عن حصول البركة فيه، حتى وإن كان غير كاف لإطعام الوافدين وهو ما يعبر عنه بـ **"الشبع والكفاية من القليل"**[20]، ويتضح هذا الأمر من إحدى الحكايات جاءت على لسان أبي الروابن: **"وقد كان في بعض السنين في حياة شيخنا لما أتى شهر ربيع الأنوار وقد وردت علينا الوفود من الأتباع... لقصد زيارة الشيخ في هذا الشهر المبارك على عادتهم... فلما كانت ليلة الميلاد أتوني(أتاني) وكلاء الطعام وقالوا لي عندنا من الطعام والسمن والغنم والبقر شيء كثير إلا العسل فعندنا منه جانب قليل لا يفي بهذه الأركاب (الوفود) في السبعة أيام... ثم قال مرُوا وكلاء الطعام يذهبون في هذه الليلة عند ثلث الليل الأخير إلى وادي أبي فكران (واد مجاور لمدينة مكناس) وأنت معهم واحملوا معكم الأواني الفارغة واملؤوها من ماء الوادي (الواد)... فإذا حضر طعام العصيد (وجبة تُحضر بالذرة) فصبوا عليه من ذلك الماء فتجدونه عسلاً طيبًا وأطعموا الوفود منه "عندما أتى الأواني بمائه، والتي ستتحول إلى عسل بفضل بركة الشيخ، يكفي لإطعام الضيوف"**[21].

ومنها ما يتعلق بأنّ الإطعام يأخذ حجمًا كبيرًا ويتطلب تجهيزات إضافية، كما في إحدى المرويات **"... ما حكاه للشيخ ابو(ابي) عبد الله سيدي محمد بن عمر الحسناوي الشحيح، قال بلغني أنّ قبيلة سحيم وفدت على شيخنا في سنة من السنين في شهر ربيع الأنوار (ربيع الأول)... ثم أنّ الشيخ دخل إلى داره فوجد أهل الدار كلهم في غاية التعب من قلة عدم المناول (الأواني)... ثم بعد ثلاثة أيام قدم رجل من أهل فاس... وقال له يا سيدي أنا رجل تاجر من تجار السودان ولك عندي أمانة وهي أربعة وعشرون عبدًا ذكورًا وإناثًا أرسلهم لك معي حاكم السودان... فقال لي عندي إليك حاجة نريد إرسالها معك إلى مولانا وسيدنا الشيخ الكامل القطب سيدي محمد بن عيسى المكناسي فأدخلهم الشيخ وأمر بحمل الإناث من قدامه إلى الدار وبحمل الذكور إلى البستان بقصد الخدمة والحراسة"**[22].

---

[20] **أحمد الوارث**، الأولياء والمتصوفة ودورهم الاجتماعي والسياسي في المغرب خلال القرنين 17-18، مرقونة، كلية الآداب عين الشق، 1998 ج2، ص 488

[21] **الغزال أحمد بن المهدي**، النور الشامل في مناقب فحل الرجال الكامل، ط 1، مطبعة الصدق الخيرية، القاهرة، 1348 هـ، ص 46

[22] م.ن، ص ص 47-48

- **الخليفي محمد**، الانيس الجليل في طريقة ومناقب سيدي محمد بن عيسى القطب الكامل، طنجة، 1990، ص ص 140-141

وتوحي هذه المروية - بحسب عيساوة - بقدرة شيخ الطريقة على إيجاد حلول سريعة لأي مشكل طارئ يعيق أداء الزاوية إزاء أتباعها وزوارها، لكنّها تتضمن مجموعة من العناصر المبالغ فيها، فأولاً نجد أنّه من المستحيل منطقيًّا وتاريخيًّا أن يكون أي امتداد للزاوية العيساوية خارج حدود مكناس، وبالأحرى خارج حدود المغرب، باعتبار أنّ الزاوية ما زالت في بدايتها الأولى، وثانيًا أنّ هذه الزيارات المشار إليها لا يمكن أن تسجل في زاوية "باب السيبة" أي قبل وفاة الشيخ بسنوات قلائل باعتبار صغر حجم هذه الأخيرة وعدم قدرتها على استيعاب مريدي الزاوية الكثر.

لقد قمنا بمحاولة جرد الحكايات المتعلقة بالإطعام، فوجدنا أنّها لا تتجاوز اثنتين من أصل ستة وعشرين حكاية وقفنا عليها في **"النور الشامل"**، وهذا بدوره يطرح أكثر من تساؤل حول قدرة الزاوية على تلبية احتياجات اللاجئين إليها زوارًا كانوا أو عابري سبيل، مقارنة مع زوايا أخرى توجد في المجال الجغرافي نفسه كزاوية سيدي سعيد المشنزائي، والتي ارتبطت شهرتها بما كانت تقدمه من طعام، ومع ذلك فزاوية الشيخ الكامل قامت على غرار باقي الوحدات المكونة للخريطة الصوفية، بإسعاف المحتاجين وإطعام الجائعين، ومواساة المعوزين، حتى تظهر بمظهر المناصر للشرائح الاجتماعية المتدنية وقت كل أزمة. وقد لا يكون هذا الإطعام في بعض الفترات خبزًا، بل قد يأخذ طابعًا معنويًّا، أساسه الأوراد والأذكار كإحدى الآليات المعتمدة من طرف الأولياء للتخفيف من ضنك العيش على الناس، وهو أمر لا ندري مدى صحته بالنسبة إلى زاويتنا، قد تكون على شكل إطالة فترات الجلوس في الحضرة أو في مجالس الذكر.

لقد كان المهم عند شيوخ الزاوية العيساوية، توفير الغذاء لأتباعهم ومريديهم، كلما حلت فترات عجاف، وإن لم يستطيعوا استبدلوه أورادًا، مما يعني، أنّ **"توفير الغذاء لم يكن سهلاً مثل العدل والأمن والمطر"**[23]، وكلها نواقص عانى منها الإنسان المغربي كثيرًا، والملاحظ أنّهم كانوا واعين تمام الوعي ما لعملهم هذا من أهميته قصوى في تركيم رأسمال رمزي، استثمره الشيخ الكامل مؤسس الزاوية أحسن استثمار، وخاصة ما يتعلق بإكساب الزاوية العيساوية بعض مقومات السلطة الرمزية في المجال.

وبالنظر لكثرة الضحايا الذين كانت تخلفهم المجاعات، وما كان ينتج عنها من هلع جماعي، أصبحت كرامات إطعام الطعام أو تكثيره قاسمًا مشتركًا بين شيوخ الزاوية العيساوية، التي يحفظ مريدوها ما كان أجدادهم يقدمونه للمحتاجين من عابري السبيل، وبينهم وبين شيوخ باقي شيوخ الزوايا الآخرين، ينضاف إلى

[23] **احمد الوارث**، م.س، ج 2، ص 488

ذلك أنّ كوارث الجفاف مع ما ترتب عنها من مجاعات وخسائر بشرية احتلت موقع الصدارة في اهتمامات مؤلفي المناقب تحديدًا، حيث اعتبروها من الكوارث الكبرى، وعلى هذا الأساس كان الاعتقاد راسخًا لدى الناس أنّ عمل الزاوية العيساوية بالذات كان قادرًا على التقليل من الآثار الوخيمة لكل مجاعة أو جفاف حلت بهم داخل المجالات التي يتحركون فيها.

ومهما يكن من أمر، فقد كان سلوك الإطعام متأصلاً في ممارسات شيوخ الزاوية العيساوية، ومن خلاله رسخت وجودها ونفوذها، في عصر عجّ بالمعدمين والمتضورين جوعًا من جراء توالي فترات المجاعة والقحط، حيث كان الناس أحوج إلى من يكفل لهم سد حاجياتهم الغذائية.

على أنّه من الأهمية بمكان، الإشارة إلى أنّه على الرغم ممّا قامت به هذه الزاوية من أدوار تكافلية وتضامنية في المجتمع، فقد ساهمت – عن وعي أو دون وعي – في إفشال تطور مجتمع يسوده الاحتقان، ينتقل من وضعية ترتهن للأمر الواقع وللأزمات والشدائد الملازمة للقحوط والمجاعات، إلى وضع سمته الأساسية محاسبة المسؤولين عن إدارة الشأن العام ومدى توفيرهم لكافة احتياجات المجال الجغرافي الذي يحكمونه.[24]

2- توفير الأمن والحماية

يعتبر توفير الحماية الشخصية في وسط يتسم بانعدام الاستقرار السياسي، يتهدد الإنسان فيه مخاطر من كل صوب وحدب، كان مصدرها الإنسان أم الطبيعة، أمر له من الأهمية ما جعله يحظى باهتمام شيوخ الزوايا، حين أضحت مسألة "حرم" الزاوية من أهم أركان الجهاز الصوفي، بل وكما جاء في إحدى الدراسات، رمزًا لممارسة الزاوية لسلطتها التنظيمية[25] إن على مريدها أو بتفاعل مع محيطها الذي يحتضنها، بيد أنّ المخزن ذهب بعيدًا في ذلك، إذ تدخل لتقنين ممارسة فعل الحامي، عبر سيل من الظهائر والتشريعات. ومن الظهائر المرتبطة بموضوعنا، ظهير السلطان محمد بن عبد الله الممنوح لعيساوة في فترة حكمه، والقاضي باحترامهم وتوقيرهم، ويشمل هذا الاحترام الشيوخ والمريدين والمقرات.

ولعل ما جعل قيمة "الحرم" تزداد ملحاحية، توالي فترات انعدم فيها الاستقرار السياسي والاقتصادي، حتى أضحى جزءًا من المشهد السياسي في بعض الفترات من تاريخ المغرب، وأصبح ملجأ لأمراء عديدين

---

[24] عبد الهادي البياض، تجليات المقاربة الوسطية، م. س، ص 233

[25] **عبد اللطيف الشاذلي**، م، س، ص 188

أثناء صراعهم حول السلطة، ولنا في المصادر التاريخية العديد من الأمثلة الدالة على قولنا هذا، خاصة ضريح الشيخ "عبد السلام بن مشيش" بشمال المغرب و"الحرم الإدريسي" بفاس[26].

وبرجوعنا إلى "النور الشامل"، نصادف وجود بعض الإشارات حول قيام شيخ عيساوة بدور الحامي، وقد سمى هذه الحماية "بالكلاءة" أو "الرعاية" وإن كانت الحكاية الواردة في المصدر، ممزوجة بطابع خرافي، فإنّ ما يشفع لها هو التأكيد على أداء هذا الدور، **"وكان السلطان المذكور، تحت كلاءة الشيخ محمد بن عيسى ورعايته، ومن المنسوبين إليه"**[27]، وظهر مفعول هذه الحماية، في نجاة السلطان المذكور من عملية القتل التي كانت تستهدفه، وعلى الرغم ممّا قد يطرحه منطوق هذا النص من أسئلة من قبيل افتقادنا لأخبار انتماء سلطان بني وطاس إلى الزاوية العيساوية، وحتى كتب التاريخ لم تشر لأي شئ من هذا القبيل، ولو كان ذلك قد تم بالفعل لما سكت عنه "الكراسي" في "عروسة المسائل" الذي أرخ فيها لهذه الدولة ولما سكت عنه "الناصري" في "الاستقصا"، الذي اهتم بتدوين أخبار كل الدول المتعاقبة على عرش المغرب، مع التركيز على سلاطينهم أكثر من أي شيء آخر، لذا نعتقد أنّ المسكوت عنه في المصادر العيساوية، هو توظيف السلاطين الوطاسيين لنفوذ عيساوة وشيخهم لصالح هؤلاء، خاصة لوضع حد لكل الاضطرابات الناشئة في ظل الحكم الوطاسي وفي هذا الصدد، نجد حكاية أخرى تحيل إلى ما ذهبنا إليه، وهي:

"... أنّ رجلاً أعجميًّا من الخوارج دخل المغرب واستقر بتوات (إحدى مناطق جنوب المغرب) وادعى الولاية الكبرى... فلما اتصل (بلغ) هذا الخبر بالسلطان (إلى السلطان) تغير وبقي مفكرًا في أمر هذا الرجل... فاقتضى رأيه أن يرسل الوزير إلى الشيخ سيدي محمد بن عيسى رضي الله تعالى... فلما سمع الشيخ مقالة الوزير غضب غضبًا شديدًا وقال قبحه الله من ملحد... فلما جاء الليل وأراد الأعجمي أن ينام في خلوته فلما استقر في فراشه دبت عليه عقرب ودخلت بين رجليه فلدغته في أنثييه (خصيتيه) فمات في الوقت وقد أراح الله منه البلاد والعباد"[28]، وهذا يعني أنّه ناب عن المخزن في وضع حد لتلك الفتنة، ليس بلدغ العقرب له، كما

[26] بالاطلاع على مختلف كتب التاريخ، يتضح أنّ مجال الزاوية، وبوجه أخصّ الضريح، ظل مجالاً محفوظًا وملجأ لكل شخص احترم به، بغض النظر عن مبررات التجائه إلى هذا الضريح أو غيره. كما آوت الزاوية سواء زاوية عيساوة أو غيرها الناس " تجاه كل صروف الخطر أو الخوف أو الجور، مهما كانت مصادرها: تجاه الطبيعة والجارح من الحيوان أو البشر. لكن أكثر أنواع الحماية وأشدها أثرا في الناس هي تلك التي تضع بين الفرد وبين السلطة حجابًا"

- **ع. اللطيف الشاذلي**، م. ن، ص 189

[27] السلطان المقصود هو محمد الوطاسي الشهير بالبرتغالي.

- **الخليفي محمد**، م.س، ص 142

- **المهدي الغزال**، م. س، ص 26-27

[28] م.ن، ص ص 43-45

- **القطعاني احمد سالم كريم**، الشيخ الكامل محمد بن عيسى، ليبيا، 1992، ص 96

في منطوق الحكاية، والتي لا يمكن النظر إليها إلا من خلال سياقها المناقبي، أو في عدم تجنيده "لِحركة" قد تكلفه أموالاً كثيرة، مثلما قد تستغرق أياماً، بالنظر لبعد الإقليم التواتي عن العاصمة فاس، لكن باستثمار نفوذ شيخ عيساوة، باعتباره شيخ طريقة بلغت شهرة مهمة على الأقل في النطاق المحلي، وطبعًا هذا الإنجاز مرهون بمدى صحة الحكاية من عدمها، ولا يمكن النظر إليه كذلك إلا عبر السياق الفكري للفترة – انتشار الفكر الكراماتي وتغليفه لمخيلة الناس الجماعية -.

لقد كانت هذه المكانة من الأمور التي جعلت أمراء بني وطاس يعتبرون زاويته حرمًا لا يقربه المخزن، كما لا يحق لهذا الأخير ملاحقة أي شخص احتمى بالزاوية وشيخها وشاهد ذلك أنّ المصادر لم تسجل أي تدخل للوطاسيين في مكناس ضد هذه الزاوية أو غيرها، وهذا يعني تزكية لفرضية موالاة الزاوية لسلاطين الوقت.

ولم تقتصر حماية شيخ الطريقة فقط على السلاطين، بل امتدت لتشمل القبائل المتضررة من السياسة العامة، وخاصة ما يتعلق بالشق الجبائي منها، عبر توظيف مكانته لدى الأمراء وحظوته لديهم لرفع الضرر عن هؤلاء كما حصل، **"القبيلة السوالم العربية التي فرض عليها وزير السلطان بمكناس مقدارًا من المال، لتجهيز الجيش، ولما كانت القبيلة المذكورة غير قادرة على أداء المبلغ، فقد استشفعوا بالشيخ الكامل قصد التدخل، وأداء النصف فقط، فكان لهم ما أرادوا"**[29]، بعد أن تمت معاقبة الوزير على فعله ذاك، كيف ذلك ؟ أمر تسكت عنه الحكاية، ولا تقدم بشأنه أيّة إجابة. كما شملت "**الكلاءة**" مريدي الزاوية من أي ضرر قد يلحق بهم، إن من تعسفات المخزن أو غيره، ممن كانوا يتقلدون مناصب في هرم الدولة[30].

ومن الأهمية بمكان، الإشارة إلى بعض المغالطات التاريخية في المصادر العيساوية "كالنور الشامل" حول ذات الموضوع، وخاصة ما ورد في إحدى مرويات مناقب شيخنا[31]، والمتمحورة حول **"تدخل الشيخ الكامل لحماية أحد خدام مشور خليفة سلطان فاس على مكناسة الزيتون"،** والحال أنّها لا تتعلق بشيخنا لكن بشيخ آخر وهو سيدي سعيد المشنزائي، زاويته بمكناس أيضًا،

- **الخليفي محمد**، م. س، ص 143

29 **المهدي الغزال**،م. س، ص43. بتصرف.

- **القطعاني أحمد سالم**، م.س، ص 86

30 **المهدي الغزال**، م. س، ص 30

- **القطعاني أحمد سالم**، م. س، ص 87

31 **المهدي الغزال**، ص 37

- **القطعاني أحمد سالم**، ص ص 85-86

والذي **عاقب "الوزير المذكور لعدم احترامه للوعد الذي قطعه على نفسه، بعدم التعرض للعبد، إذ قام بقتله حالما عاد إلى المشور"**[32].

لقد وفرت ظرفية مغرب القرن 10 هـ/16 م بما حملته من صراعات سياسية وعدم استقرار، أرضية خصبة لتشبث الزوايا بهذا الدور الحمائي، إذ كانت أكثر أنواع الحماية تأثيرًا في النفس تلك التي تضع حدًّا لتعسفات المخزن ومثليهم في الأقاليم، ولذلك كانت الحكايات المناقبية الواردة في مختلف مصادر تلك الفترة، دافعًا للتأثير في الناس، وبالتالي المزيد من توقير الزاوية، وتجنيب الإساءة إلى حرمها ومحيطها بكل ما يحمله من دلالة في نفوس الناس[33].

3- التطبيب ووسائله عند شيوخ الزاوية

من الملاحظات الرئيسية البارزة في علاقة الظاهرة الأوليائية بظروفها الاقتصادية والاجتماعية، هو أنّ الولي يصبح أكثر حضورًا في فترات الأزمة، فضريحه يتخذ مزارًا إما للتبرك أو لطلب الشفاء، وفي هذا السياق عرف العديد منهم بكرامات ذات علاقة بإبراء العلل المستعصية، التي كانت هاجسًا مؤرقًا للإنسان المغربي ولهذا فالزوايا اعتبرت دائمًا "مقرات علاجية"، يتوافد عليها المرضى، وإذا ما استطاع أي شيخ معالجة أي علة أو على الأقل التخفيف من وطأتها، فإنّ ذلك يزيد من حضور الزاوية ويمنحها إمكانية أكبر للانتشار والتوسع في محيطها الاجتماعي. لم تخرج الوصفات العلاجية عن الاتصال باللمس المباشر على مكانة العلة، **"ومن كراماته أنّه إذا وضع راحته على ذي مرض أو عاهة، يجد الفرج من ساعته، ويبرأ من علته"**[34]، والبصق على العاهة، ناهيك أنّ الاعتقاد كان شائعًا، من أنّ الشفاء من بعض الأمراض، يمكن أن يتأتى فقط عبر التمسح بضريح الولي، حتى غدا تراب الأضرحة رمزًا من رموز الاستشفاء[35]، إلى جانب ذلك

---

[32] **الشفشاوني ابن عسكر**، دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، تحقيق محمد حجي، ط 2، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، 1976، الرباط، ص 77 بتصرف.

- **الفاسي محمد المهدي**، ممتع الأسماع في ذكر الجزولي والأتباع وما لهما من الأتباع، تحقيق عبدالحي العمراوي، 1989، ص 99

[33] كثيراً ما كان يتجلى دور حرم الزاوية معقلاً للاحتماء من التعسفات السياسية، مقبولاً من لدن السلاطين، كما تفيد بذلك كتب التاريخ عبر سردها للعديد من الحالات في هذا الشأن، وقد اشتهرت عدة أمكنة في هذا المجال كضريح مولاي عبد السلام بن مشيش، الذي تم إقرار حرمته بمقتضى ظهير صادر سنة 1578م، وتم تجديده فيما بعد، الزاوية الفاسية بفاس، دار الضمانة وزان، الزاوية الشرقاوية بأبي الجعد، ينظر:

- **Laroui (Abdellah)**, les origines sociales et culturelle du nationalisme marocain, (1830- 1912) Maspero, Paris, 1977, P 228

* والهامش رقم 49 من المرجع نفسه.

[34] **المهدي الغزال**، م. س، ص 27

[35] **عبد اللطيف الشاذلي**، م.س، ص 116

شكل اللعاب، دواء للعديد من العاهات والأمراض[36]، وقد استمر شيوخ عيساوة في استعمال هذه الوصفات إلى يومنا هذا على الرغم من طول الفترة الزمنية، خاصة في التجمعات الدينية الكبرى كالمواسم.

أما عن أنواع الأمراض المعالجة التي اشتهر بها شيخ العيساويين، والتي نجد صداها يتردد بكثرة في "النور الشامل" فهي محدودة مثل: الفتق، "... **ومنها ما أخبرني به شيخي سيدي الحاج عبد السلام برادة، أنّ الشيخ قد أوتي برجل به فتق عظيم، تنزل أمعاؤه من مذاكيره ...وبمجرد أن وضع الشيخ يده عليه حتى برئ من علته"**[37]، والبواسير، **"ما وقع للشيخ سيدي محمد الشيباني قال: كانت بي علة البواسير، وكانت في السنين الماضية تثور علي، ويحصل لي من ذلك وجع شديد فوضع الشيخ راحته على صلبي ماسحا بها ظهري وهو يقول يا أبا عبد الله قد ذهب ألمك فاسترحت منها في الحال"**[38] والعمى، "... **أنّ رجلاً فقيهًا شريفًا من فقهاء مكناسة الزيتون قد أصابه مرض في عينيه وانعدام بصره، ودام به الحال مدة طويلة ففتح عينه فوجد الضوء داخلاً من الباب فصار ينظر إلى أثاث بيته فلم يخف عليه شيء"**[39]، وأمراض الرأس من صداع وغيره، **"قال – محمد بن عمر بن داوود المختاري – كانت زوجتي وقد أصابها صداع في رأسها، وتألمت منه الألم الشديد، أن تقولي يا سيدي محمد بن عيسى فيعافيك الله فقالت ذلك فأصبحت برئة كأن لم يكن بها مرض أصلاً ...** "[40]، والشلل، وهذه الخاصية العلاجية، اشتهر بها عيساوة سواء في مكناس أو خارجها وبالتحديد في الأوساط القبلية، ويعتبر السحايميون والمختاريون ذوي الاختصاص في هذا الشأن، ربّما لقرب هؤلاء من الشيخ الكامل، ونظرًا لشهرتهم تلك كان يتم الاستعانة بهم من طرف زوايا أخرى قصد أداء مهمات استشفائية في هذا المجال.

وتكون اللحظة المناسبة لعلاج هذه الأمراض أثناء ممارسة الحضرة أو خلال الموسم السنوي، وفيها يعمد عيساوة إلى تدليك مكان العاهة. ولا يزالون حتى عصرنا هذا يعالجون من يقصدهم، حيث يمدد المريض غير بعيد من باب الضريح لحظات قبل ولوج السحايمية باحة الزاوية لدوسه بالأرجل، وهنا تفعل بركة الشيخ مفعولها في المريض الذي سرعان ما يستعيد حيويته ونشاطه.

---

36 م.ن.

37 **المهدي الغزال**، م. س، ص 27 بتصرف.

38 م.ن، ص 30. بتصرف.

39 م..ن، ص 42، بتصرف.

40 م.ن.

وقد لا تكون هذه القدرة العلاجية العيساوية دائمًا موفقة، ويعللون ذلك بتحكم الشياطين في الشخص المريض، ومن الأمراض الأخرى أيضا نجد داء الصرع، "**أنّ رجلا من فاس كان له ولد، من أتباع الشيخ، وقد تملكت به جنية، بسبب دعوة قرأها لأجلها، وكانت الجنية شرطت عليه ذلك شروطاً فأطاعها لما تريد**"[41].

4- معالجة الإصابة بالسم أحد مظاهر تميز العيساويين

من القدرات الخاصة التي اشتهر بها عيساوة، قدرتهم على التصدي لتأثير السموم، والتحكم في الأفاعي ولدغات العقارب، حتى أصبحوا بمثابة مروضين لها، عرفوا عبر تاريخ الزاوية بـ "الحنايْشِيَّة"، وإلى هذه القدرة تشير إحدى القصائد المكتوبة على جدار الضريح:

وقد سالمت كل السموم جميع من يعزى له في سهلها وجبالها[42]

ومن المثير للانتباه أنّ عيساوة، نسجوا عدة حكايات تكشف قدرتهم على ترويض الأفاعي بمختلف صنوفها، مع إقرارهم بوجود طوائف أخرى بالمغرب تشاركهم الخاصية نفسها، كأتباع "رحال الكوش"، المعروف عند العامة بسيدي رحال البودالي، وجيلالة أتباع عبد القادر الجيلاني.

الشيء المؤكد أنّ دراسة مثل هذه الظواهر، حتى وإن ابتعدت بنا عن الدراسة التاريخية البحتة، فهي مطلوبة في هذا الموضوع، خاصة وأنّ هذه الطقوس ما زالت حاضرة بقوة في أذهان العيساويين، ولم يغير من قوة وجودها لا توالي السنين ولا اختلاف الظرفيات. صحيح أنّ لهم مبرراتهم القوية في التمسك بها، وفي الدفاع عن شرعيتها "الصوفية"، لكن ذلك يشكل دافعًا آخر لفهم الظاهرة العيساوية، وتجلياتها في الممارسة.

وعندما تكون الوسائل العلاجية المعتمدة غير مجدية في التخفيف من الآلام، إذّاك يلجأ العيساويون إلى كتابة تعاويذ و"حروز"[43] مجهولة المحتوى، تمتزج بداخلها الآيات القرآنية ببعض الرموز الحسابية والحرفية،

---

[41] في المجتمعات التقليدية، ذات الأنظمة العلاجية العتيقة يعتقد الناس، أنّ كل شخص أصيب باختلالات في جهازه العصبي، إنّما ذلك راجع إلى حضور الجن في جسمه لذلك وجب الالتجاء إلى أشخاص كالأولياء، والدين له القدرة على التحكم في تلك القوى الخفية، وبالتالي طردها من الجسم، ولا يمكن تفسير ذلك إلا بعجز "نخبة" المجتمع عن تقديم أسباب مقنعة عن مثل هذه الأمراض.

[42] **المهدي الغزال**، م. س، ص 38

يربط عيساوة بين قدرتهم تلك – المناعة ضد السم – وواقعة طرد الشيخ وأتباعه من مكناسة، هؤلاء لما تملكهم الجوع، شرعوا في التهام كل ما يصادفونه في الطريق خاصة الأفاعي والعقارب على الرغم من السموم التي تحملها، إلى أن استدعي شيخهم، وسمح لهم بالعودة للمدينة لكنه هذه المرة اشترط شروطًا لذلك منها إعفاء أصحابه من الكلف المخزنية، والضرائب، فكان له ما أراد وما تزال الحكاية متداولة شأنها شأن سواها من المرويات المناقبية توضح إلى حد كبير حضور " الكرامة " في تفكير عسياوة وتبريرهم لسلوكهم بها.

- **المهدي الغزال**، م. س، ص 29

[43] **عبد اللطيف الشاذلي**، م. س، ص 117

وهي بمثابة إجراء وقائي لاتّقاء شر القوى الخفية الشيطانية، وهذا الإجراء بدوره يقتضي التوفر على رأسمال رمزي لإنتاج تلك المعاني السحرية الدينية والقادرة على إبعاد الشرور، والاستعانة بطوائف أخرى لمشاركتهم العمل نفسه ككناوة [44].

ويبدو أنّ كل الأمراض المشار إليها، لم تتجاوز الطابع الفردي، ذلك أنّ الأمراض ذات السمة الوبائية كـ "الطاعون"، لا نجد لها أثرًا في المصادر العيساوية "كالنور الشامل"، وغيره، وكأنّ أصحابها يتفقون على عدم قدرة شيخ الزاوية على التصدي لها، إلا أنّهم يستعيضون عن هذا العجز بترديد الأوراد والأذكار في مقرات زواياهم[45].

وعلى الرغم مما قد يثار بشأن هذه الأدوار الاستشفائية، وما قد يطرح بصددها من أسئلة، وبعيدًا عن أيّ آراء من شأنها النظر إلى هذه المهام باعتبار عدم توافقها مع المنطق والعقل، فإنّنا نعتقد أنّ الزاوية العيساوية وفرت لزوارها "خدمات طبية"، إذا ما أردنا استيعاب طبيعتها، علينا النظر إليها بمنظار ظرفيتها التاريخية، إذ على الأقل كانت تقدم لهم نوعًا من الراحة النفسية، والهدوء النسبي، يعفيهم من التفكير في طبيعة الداء الذي ألم بهم، حتى وإن كان الأمر لا يعدو احتيالاً واستغلالاً لسذاجة المرضى..

وثمة ملاحظة رئيسية لا بد من الإشارة إليها، وهي افتقاد المصادر العيساوية لكرامات "الاستسقاء" التي تعد قاسمًا مشتركًا بين الأولياء، وهو أمر قد يكون مدعاة للتساؤل، من زاوية أنّ هذه الكرامات كانت منتشرة في صدر القرن 10هـ/16م بكثرة، نظرًا لتوالي سنوات القحط والجفاف. والتفسير الوحيد الذي يمكننا الإدلاء به بهذا الخصوص، يتمثل في أنّ هذه النوعية من الكرامات تظهر بشكل قوي في المناطق التي تعرف نقصًا مائيًّا، والحال أنّ مكناسة الزيتون تتوسط

---

[44] من بين العادات المتبعة عند الطوائف العيساوية، تلبية دعوة كل من أصابه مس من الجنون، أو لمعالجة أي مرض آخر، لكن هذه المرة يستعان بطوائف أخرى لها باع طويل في المجال، كالطائفة الكناوية والتي تلجأ إلى توظيف مجموعة من الطقوس هي أقرب إلى الغرابة منها إلى المنطق والعقل، بجميع المقاييس، كما تكون فرصة لاستحضار " أولياء البلاد " كسيدي بوزكري، مولاي عبد القادر الجيلاني، مولاي إدريس زرهون، سيدي سعيد سيدي محمد بن عيسى وغيرهم (إفادة شفوية من مكناس).

- عن أوجه العلاقة بين عيساوة وكناوة ينظر:

- **Brunel (René)**, Essai sur la confrérie des Aissaouas, Paris, librairie orientaliste, paul Genthner, 1926, PP 156-166

[45] بحسب **الوزان**، كان الناس قليلي الحيلة اتجاه الوباء، وإن كانوا يتخذون بعض التدابير الوقائية لاتقاء انتقال عدواه، م. س، ج1، ص 68

سهلاً خصباً قلما يشهد عدم انتظام التساقطات، لكن هذا لايعفينا من القول بوجود لحظات تقل فيها التساقطات المطرية، اعتبارًا لوضعية عدم الاستقرار التي يشهدها المناخ من حين لآخر[46].

5- البركة رمزًا لولاية الشيوخ العيساويين

تعد زيارة أي ضريح بقصد لتبرك، من الأمور الهامة في السياق الصوفي، ومن القضايا التي استأثرت بالاهتمام من لدن المتصوفة، وأفردوا لها عدة تنظيرات تحدد آدابها والشروط الواجب اتباعها من طرف الزائرين. وكثيرًا ما تظهر القيمة الاجتماعية لمفهوم البركة، إبّان الأزمات والكوارث، حيث يأخذ إطعام المحتاجين وعابري السبيل صفة القداسة لدى غالبية الفئات المستفيدة من خدمات الزاوية.

ومع التطور الزمني لم تعد لفظة "الزيارة" تعني تجديد "العهد" مع شيخ الطريقة، بل وبالنظر لهذا التطور أصبحت مقترنة بما يقدم للضريح من هدايا على اختلاف أنواعها وأصنافها، رغبة من مقدميها الاستفادة من خدمات الأولياء وبركاتهم، ذلك أنّ عنصر "البركة" بما أنّه سر من أسرار المشيخة، أضحى أساس اعتقاد المريدين في خوارق شيخهم وكراماته، كما أصبح عاملاً أساسيًّا لاعتقاد العامة، وحتى السلطان السياسي في حظوته، وتلك الخدمات قد تكون عبارة عن علاج من عاهة، أو طلب شفاعة أو حماية من تعسف سلطوي، أو طغيان للطبيعة، إلى غير ذلك من الأدوار التي انبرى شيوخ الزوايا وضمنهم شيوخ عيساوة، للقيام بها حيث عملوا على توطيد مكانة الزاوية وغرسها بعمق في التربة المكناسية، كما استطاع مؤسسها تركيم رأسمال رمزي، أهله لاستقطاب الزوار من كل صوب وحدب والتدخل لقضاء مأرب الأتباع والمريدين والزوار.

من هذا المنطلق نفهم لماذا يتمسك الناس بالاحتفاظ بمخلفات الأولياء، والحضور المكثف للناس في جنازات المشايخ، وتهافتهم على حمل النعوش والحصول على شيء منها للتبرك به[47]، حيث تذكر المصادر العيساوية التي بين أيدينا – على قلتها – تردد الزوار بكثرة على الضريح الكاملي، حيث ارتفعت من جراء ذلك المداخيل والهبات المقدمة من طرفهم.

وما يمكن قوله في هذا الصدد، إنّ "البركة" لم تقتصر قط على الولي المدفون، بل واعتبارًا لشهرته، شملت كافة الفضاءات المرتبطة به كالقبر، والقبة، وتراب أرضية المزار وغيرها، حيث أصبح ضريح الشيخ

---

[46] عن بعض التقلبات التي شهدها المناخ بمغرب القرن 10هـ /16م، راجع: **محمد استيتو**، م. س، ص ص 41-42

[47] **الكتاني بن جعفر بن ادريس**، سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس في من أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، طبعة حجرية، فاس، 1318، ج 1، ص 237 و243 –244. ج 3، ص 120 ص 138

محمد بن عيسى من أشهر الأضرحة ليس فقط بمكناس، بل في المغرب قاطبة، وهو ما تكشف عنه كثرة زواره طيلة أيام السنة وبدون انقطاع[48].

ينضاف إلى ذلك، أنّ كل ما يحيط بالقبر "الروضة"[49]، والتي أصبحت سمة مميزة لولي مكناس، غدت أكثر استقطابًا للناس وحسبنا دليلاً على ذلك، كيف تكون عليه الحاضرة الإسماعيلية إبان الموسم السنوي. ومما يضفي على هذه الروضة أهمية مميزة بمكناس، كونها مدفن العديد من شيوخ الزاوية، ولأولياء المدينة ورجالاتها. وبالجملة فقد اكتسب الضريح العيساوي شهرة قل نظيرها، ولا غرو فقد كان عامة الناس يعتقدون في صاحبه، القدرة على دفع الأذى عنهم، وحمايتهم من كل تهديد، أو مصاب ألم بهم، ومعالجتهم من أمراضهم.

والواقع أنّ هذه القدرة لم تنته بموت شيخ الطريقة بل انتقلت بالوراثة إلى ذويه، وحتى الرأسمال الرمزي للشيخ، أي "الكرامة"، قد توارثها عنه مشايخ الزاوية من بعده، لكن تجدر الإشارة إلى أنّ الكرامات تكون عادة خاضعة للظرفية التاريخية التي أنتجتها. فكرامات القرن 10هـ/16م لن تكون بالضرورة مثل كرامات العصور الموالية، وإذا أخذنا ذلك بالحسبان يمكن التأكيد على أنّ هذه الزاوية تغذت وعلى مر تاريخها ببركة شيوخها الأوائل.

ومن بين المظاهر الموروثة الأخرى، نجد قواعد الزيارة وآدابها التي يبدو أنّهم حافظوا عليها مستفيدين من شهرة ضريح شيخهم، حيث تكون زيارة الضريح الكاملي، مفتوحة للعموم وفي جميع أوقات السنة.

ولعل ما حدا بمحمد بن عيسى، الإكثار من مجالس الوعظ والإرشاد بزاويته، كثرة انغماس الناس في الرذائل التي استشرت بالمدن والبوادي على السواء[50]. وهذا ما يفهم مما ورد عند ابن عسكر في "دوحته" أثناء حديثه عن شيخ الطريقة العيساوية، حيث ينسب إليه قدرته على منع مريده المقرب "أبي الرواين" من الانغماس في الفاحشة التي كان متعودًا عليها، قبل بلوغه مرتبة الولاية الكاملة على يد الشيخ الكامل (حكاية الفأس الشهيرة في كتب التراجم)، وفي هذا السياق جاء على لسان مريد آخر، وهو (الشيخ الفيجيجي)[51] **"جاء أبو الرواين قائلاً: إنّي جعلت زمام نفسي بيدك وقد شغفت بحب النساء، فلما كان الغد جاء أبو الرواين وهو في غاية الضعف ووجهه مصفر، ولما كانت قدرة شيخه حائلاً بينه وبين ممارسة فعله ذاك، فقد قام وكأنّما نشط**

[48] أصبحت بعض القبور من المزارات الشهيرة: نذكر منها ضريح الشيخ الجزولي بمراكش، وضريح أبي يعزى بتاغيا، (**ابن عسكر**، م.س، ص 101)، وضريح المولى إدريس بفاس (**الكتاني بن جعفر**، م. س، ج2، ص 274)، وغيرها من الأضرحة التي خلدتها كتب التراجم في صفحاتها.

[49] تسم الروض المشهد الصوفي بالكثير من الصفات، وكانت فترة القرن 10هـ، مميزة من حيث انتشارها عبر ربوع المغرب نذكر منها بمكناس: روضة الشيخ الكامل، والشيخ الحُصيني. ابن عسكر، م. س، ص 101

[50] **أحمد بوشارب**، أزمة الضمير المغربي خلال القرنين السادس والسابع عشر، مجلة كلية الآداب، فاس، عدد خاص، رقم 2-1985، ص 91

[51] **ابن عسكر**، م. س، ص 67

من عقال، وعند استيقاظه، اتجه رأسًا إلى الزاوية حيث خاطب أستاذه، من يكون في رعيتك لا يخشى على نفسه غواية"[52].

وعلى الرغم من غموض النص، وخاصة ما يتعلق بتحديد إن كان ذلك يتم في إطار الزواج أم لا، فالمؤكد أنّه يوضح سهولة الحصول على المرأة آنئذ إن لقضاء المآرب الجنسية، أو لأغراض أخرى، وهذا الأمر لا يدعو مع ذلك للغرابة، فالفترة التي نحن بصدد دراستها كانت كل معطياتها كافية، لتبرير مثل هذا السلوك أو غيره، من ذلك الذي نجد له انعكاسًا في مصادر مغرب القرن العاشر الهجري. خلاصة القول، إنّ إيمان الناس بفعالية تدخل الزاوية العيساوية في شخص شيوخها في المحيط، ساهم في الرفع من شأنها، وما القداسة والتبجيل اللذين حظي بهما إلاّ مؤشر بارز على تلك المكانة، إذ وصلت حدًّا اعتقد معه الناس، أنّ من يمس الشيخ بسوء أو ينكر كراماته، الشاملة لمختلف الانشغالات' سيؤدي ذلك لا محالة إلى إثارة سخطه، ففي مجتمع كان يعتمد بشكل أساسي على مساعدة الزوايا، كان من الطبيعي أن يشغل التفكير الكراماتي حيزًا كبيرًا في ذهنية الأفراد والجماعات. صحيح أنّ الظروف ساعدت على خلق التربة المناسبة لتغلغل ثقافة الخوارق وادعاء الولاية، فإنّ ذلك لم يكن يخلو من تداعيات سلبية على النشاط الفكري بوجه عام، وعلى التصوف الذي انقلب حاله من تجربة وذوق ومشاهدة إلى شعوذة وخرافة.

ومجمل القول، إنّ الزاوية العيساوية وجدت التربة مناسبة لكي تضطلع بأدوار مهمة في المجتمع، ذلك أنّ الصور المستقاة من مصادر العصر الحديث وغيرها من المصادر التي أرخت لباقي الحقب التاريخية، تكاد تعطي الانطباع بأنّ المغرب لم يكن يخلو من أزمات، فكثير من المناطق ضربها البؤس نتيجة الكوارث الطبيعية، والمجاعات، وما يتبعها من قحط وجفاف. ومعلوم النتائج المباشرة لهذه الظواهر على الأوضاع الاقتصادية والأحوال المعيشية للناس.

ومن مظاهر الأزمة كذلك نجد الأوبئة والأمراض التي تعتبر إلى جانب المجاعات أكثر الكوارث حضورًا في تاريخ المغرب. وتكمن خطورتها في إصابتها الإنسان والحيوان على السواء، وفي تأثيرها على البنية الديموغرافية، وعلى المقومات الاقتصادية للبلاد. وبغض النظر عن هذه الأزمات وما خلفته من آثار سلبية، فإنّ عجز الإنسان عن مواجهة أزماته بالنظر لمحدودية إمكاناته، دفعه إلى البحث عن ملاذات آمنة عند المتصوفة، وأرباب الزوايا بفضل ما كان ينسب إليهم من كرامات وخوارق لا سيما في لحظات الأزمة.

---

[52] **القطعاني أحمد سالم**، م. س، ص ص 91-92

- **الخليفي محمد**، م. س، ص 140

- **المهدي الغزال**، م. س، ص ص 21-22

ولما كانت زاوية الشيخ الكامل وليدة القرن 10هـ/16م، وهو القرن الذي شهد أكثر الأزمات حضورًا وتأثيرًا في حياة الإنسان، فقد كانت مدفوعة دفعًا للاهتمام بالمشاكل الاجتماعية، وتوفير الحماية للسكان في زمن كان فيه الخوف سيدًا.

وللإشارة فمختلف الكرامات المأثورة عن شيخ عيساوة، كانت تعكس هموم الأفراد والجماعات حسب الوسط، ومن هذا المنطلق دفع رسوخ الاعتقاد بعيساوة وبقدرتها على مد يد العون إلى الناس إلى أن يغدقوا عليهم بسخاء، ولو أنّ هذا الجانب تعوزنا فيه الأرقام والمعطيات الإحصائية، نتيجة ندرة المعطيات المصدرية، إن لم نقل انعدامها، إذ هي من بين القضايا التي ندعو الباحثين إلى الانكباب عليها بما يكفل إماطة اللثام عن مختلف الأسس الاقتصادية، سواء على صعيد الزاوية الأم، أو فروعها المنتشرة في بقاع المغرب وخارجه.

خامسا: على سبيل الختم

مما لاشك فيه، أنّ تصوف مؤسس الزاوية العيساوية الشيخ محمد بن عيسى طغى عليه الطابع الاجتماعي الصرف، وعلى أساس هذا الأمر قام بما يشبه إفراغ كراماته من طابعها التجريدي، مضفيًا عليها منحى واقعيًّا، يرتكز على تقديم البدائل لتجاوز أزمات العصر، ولو في مستوياتها الدنيا. وعلى إيقاع هذا الأمر صارت البركة العيساوية مرتكزًا وعاملاً رئيسًا لتجاوز وضعية انحباس الأمطار، وانجلاء القحط، ومقدمة للتداوي من العلل والأمراض.[53]

لقد حاولت الزاوية أن تلعب دورًا مخففًا لمعاناة أفراد المجتمع وإصلاح أوضاعهم المزرية، حسب إمكانياتها وقدراتها، غير أنّ ما ترتب عن ذلك لم يؤد إلاّ إلى تكريس قاعدة رئيسية أساسها الخدمات المقدمة من طرف القائمين عليها، مرهونة بتقديم مقابل مادي، تختلف قيمته من فرد لآخر حسب الأصول الاجتماعية لكل واحد. صحيح أن عيساوة، لم يخرجوا في هذا المضمار عما جرت عليه عادة مؤسسات الزوايا، لكن ذلك ساهم في تكوين جماعات من الناس مستسلمة لواقعها المزري، ومفتقدة للمبادرة، مع ما يساهم هذا الأمر فيه من شل القدرات الذهنية والانقياد التام لفكر يعتقد في "الكرامة" حلاًّ مباشرًا لمحنه، حتى وإن كانت تلك "الكرامات" ملفقة ولا أساس لها من وحي التاريخ.

[53] **محمد المنوني**، ورقات عن حضارة المرينيين، منشورات كلية الاداب والعلوم الانسانية، الرباط، 2000، ص 414

- عبد الهادي البياض، م س، ص 236

لائحة المصادر والمراجع المعتمدة في البحث:

باللغة العربية:

- **محمد استيتو**، الكوارث الطبيعية في تاريخ مغرب القرن 16م (الكوارث)، د. د. ع. / ك. أ. ع. إ ظهر المهراز فاس، 1988

- **الناصري أحمد بن خالد**، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق وتعليق جعفر ومحمد الناصري، ط 2، مطبعة دار الكتاب، الدار البيضاء، ج5، 1954

- **محمد الأمين البزاز**، تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، م ك. أ. ع. إ بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1992

- **القادري محمد بن الطيب**، نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، تحقيق محمد حجي وأحمد التوفيق، الرباط، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، 1977، ج1

- **الوزان حسن**، وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، 1983، ج1

- **كربخال مارمول**، إفريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد زنيبر ومحمد الأخضر وأحمد التوفيق، الرباط، 1984، ج2

- **ابراهيم القادري بوتشيش**، الإسلام السري في المغرب العربي، منشورات سينا للنشر، ط 1، 1995

- **عبداللطيف الشادلي**، التصوف والمجتمع، نماذج من القرن العشر الهجري، مطابع سلا، منشورات جامعة الحسن الثاني، 1989

- **أبو بكر الكلاباذي**، التعرف لمذهب أهل التصوف، دار الايمان، دمشق، 1986

- **عبدالرحمان بن خلدون**، مقدمة ابن خلدون، دار الشعب، القاهرة، د. ت، ص ص 85 و109

- **لوي ماسينيون وعبد الرزاق مصطفى**، التصوف، ترجمة إبراهيم خورشيد وعبد الحميد يونس وحسين عثمان، كتب دائرة المعرف الإسلامية، دار الكتاب اللبناني ومكتبة المدرسة، ط 1، 1984

- **إبراهيم القادري بوتشيش**، واقع الأزمة والخطاب الاصطلاحي في كتب المناقب والكرامات، ضمن كتاب الإسطوغرافيا والأزمة: دراسات في الكتابة التاريخية والثقافية.

- **عبد الهادي البياض** في دراسته: "تجليات المقاربة الوسطية في منهج التكافل الاجتماعي بمتصوفة مغرب العصر الوسيط"، ضمن اعمال التصوف السني في تاريخ المغرب، منشورات الزمن، ط 2، 2013

- **ابن قنفذ أبو العباس أحمد الخطيب القسنطيني**، أنس الفقير وعز الحقير، تحقيق محمد الفاسي وادولف فور منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط.

- **أحمد التوفيق**، مساهمة في دراسة المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر (إينولتان 1850-1912)، الدار البيضاء، منشورات كلية الآداب الرباط، 1978، جزآن.

- **أحمد الوارث**، الأولياء والمتصوفة ودورهم الاجتماعي والسياسي في المغرب خلال القرنين 17-18، مرقونة، كلية الآداب عين الشق، 1998، جزآن.

- **الغزال أحمد بن المهدي**، النور الشامل في مناقب فحل الرجال الكامل، ط 1، مطبعة الصدق الخيرية، القاهرة، 1348 هـ.

- **الخليفي محمد**، الأنيس الجليل في طريقة ومناقب سيدي محمد بن عيسى القطب الكامل، طنجة، 1990

- **القطعاني أحمد سالم كريم**، الشيخ الكامل محمد بن عيسى، ليبيا، 1992

- **الشفشاوني ابن عسكر**، دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، تحقيق محمد حجي، ط 2، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، 1976، الرباط.

- **الفاسي محمد المهدي**، ممتع الأسماع في ذكر الجزولي والتباع وما لهما من الأتباع، تحقيق عبد الحي العمراوي، 1989

- **الكتاني بن جعفر بن إدريس**، سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس في من أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، طبعة حجرية، فاس، 1318، ج 1

- **أحمد بوشارب**، أزمة الضمير المغربي خلال القرنين السادس والسابع عشر، مجلة كلية الآداب، فاس، عدد خاص، رقم 2- 1985

- **محمد المنوني**، ورقات عن حضارة المرينيين، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 2000

باللغة الفرنسية:

- **B. Rosenberger et H.Triki:** famines et èpidemies au maroc aux 16 éme et 17 siècle. hespi- tom, 1 partie, vol 14, fasc, 1,1973

- **Laroui (Abdellah)**, les origines sociales et culturelle du nationalisme marocain , (1830-1912) Maspero, Paris, 1977

- **Brunel (René)**, Essai sur la confrérie des Aissaouas, Paris, librairie orientaliste, Paul Genthner, 1926

MominounWithoutBorders

@ Mominoun_sm

Mominoun

الرباط – المملكة المغربية

ص.ب : 10569

هـاتـف: 00212537779954

فاكس: 00212537778827

info@mominoun.com

www.mominoun.com